Journal of Libyan Academy Bani Walid 2026
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
Volume 2, Issue 6, 2026, Pages: 49-63
Website: https://journals.labjournal.ly/index.php/Jlabw/index

The Coherence of the Qur'anic Structure in Surahs Ad-Duha and Ash-Sharh: An Analytical Study

Ismail Al-Saghir Fathallah *
Faculty of Tourism and Hospitality, Misrata, Libya
*Email: abuelias.ly@gmail.com

تناسب النظم القرآني لسورتي الضحى والشرح (دراسة تحليلية)

إسماعيل الصغير فتح الله *
كلية السياحة والضيافة- مصراتة، ليبيا

Received: 20-07-2026	**Accepted:** 29-10-2026	**Published**: 12-11-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract

This study examines the coherence of Qur'anic composition between Surahs Al-Duha and Al-Sharh through an analytical study that highlights the semantic, rhetorical, and thematic connections between the two Surahs, identifying the manifestations of harmony within the structure of the Qur'anic text. The study aims to uncover the secrets of Qur'anic composition in both Surahs and demonstrate the unity of their context and purpose by examining the relationship between words, structures, and meanings and linking these elements to the general objectives of the two Surahs.

The study adopts an inductive and analytical approach by examining the verses and analyzing their linguistic and rhetorical implications. It also explores the aspects of correspondence between the openings and endings of the two Surahs, as well as their main themes and the meanings of consolation, reassurance, and honor bestowed upon Prophet Muhammad (peace be upon him). Furthermore, the study highlights the role of Qur'anic correspondence in achieving thematic unity and revealing an aspect of the rhetorical inimitability of the Holy Qur'an.

The study concludes that Surahs Al-Duha and Al-Sharh represent an outstanding example of Qur'anic harmony, as they are connected through a well-established thematic and rhetorical relationship that reveals the precision of Qur'anic composition and the integration of its meanings. This confirms the unity of the Qur'anic discourse and its coherence in expressing its spiritual, educational, and psychological objectives.

Keywords: Tafsir and Qur'anic Sciences, Qur'anic Composition, Qur'anic Correspondence, Surah Al-Duha, Surah Al-Sharh, Rhetorical Inimitability, Thematic Unity, Qur'anic Exegetical Studies.

الملخص
يتناول هذا البحث موضوع تناسب النظم القرآني بين سورتي الضحى والشرح، من خلال دراسة تحليلية تُبرز أوجه الترابط الدلالي والبياني والموضوعي بين السورتين، وبيان مظاهر الانسجام في البناء القرآني. ويهدف البحث إلى الكشف عن أسرار النظم القرآني في السورتين، وإظهار وحدة السياق والغاية، من خلال دراسة العلاقة بين الألفاظ والتراكيب والمعاني، وربط ذلك بالمقاصد العامة للسورتين.
وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي، من خلال تتبع الآيات وتحليل دلالاتها اللغوية والبلاغية، وبيان أوجه التناسب بين افتتاح السورتين وخواتيمهما، وبين موضوعاتهما الرئيسة، وما تحمله من معاني التسلية والتثبيت والتكريم للنبي ﷺ. كما أبرز البحث أثر التناسب في تحقيق الوحدة الموضوعية، وإظهار جانب من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم.
وخلصت الدراسة إلى أن سورتي الضحى والشرح تمثلان نموذجًا بديعًا للتناسق القرآني؛ إذ يجمعهما ترابط موضوعي وبلاغي محكم، يكشف عن دقة النظم القرآني وتكامل معانيه، بما يؤكد وحدة الخطاب القرآني وانسجامه في التعبير عن المقاصد الإيمانية والتربوية والنفسية.

الكلمات المفتاحية: التفسير وعلوم القرآن، النظم القرآني، التناسب القرآني، سورة الضحى، سورة الشرح، الإعجاز البياني، الوحدة الموضوعية، الدراسات التفسيرية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
يُعدّ القرآن الكريم معجزةً خالدةً تتجلى وجوه إعجازها في مختلف جوانبها، ومن أبرزها الإعجاز البياني والنظمي الذي يظهر في ترابط آياته وسوره وتناسق موضوعاته ومقاصده. وقد أولى العلماء عنايةً كبيرةً بعلم المناسبة والتناسب بين الآيات والسور؛ لما يكشفه من دقة البناء القرآني ووحدة النسيج الموضوعي للقرآن الكريم.
وتُعدُّ سورتا الضحى والشرح من السور المكية القصيرة التي تجمعهما صلات وثيقة في الموضوع والمقصد والنسق التعبيري، إذ جاءت سورة الشرح مكملةً لما ورد في سورة الضحى من مظاهر العناية الإلهية برسول الله –تعالى-، ومؤكدةً لمعاني التيسير والتثبيت والبشارة بعد الشدة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة أوجه التناسب بين السورتين للكشف عن مظاهر الانسجام والترابط في النظم القرآني، وبيان ما تحمله السورتان من دلالات تربوية وإيمانية وبلاغية.
وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل البناء الموضوعي والفني لكل من السورتين، ثم الوقوف على أوجه التناسب بينهما في ضوء منهج التحليل والاستقراء؛ لإبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني في ترتيب السور وتناسق مقاصدها.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:
ما مظاهر التناسب والترابط في النظم القرآني بين سورتي الضحى والشرح، وكيف يسهم هذا التناسب في تحقيق الوحدة الموضوعية وإبراز معالم الإعجاز البياني بينهما؟
ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

- ما المقصود بالنظم القرآني والتناسب بين السور في التفسير والبلاغة؟
- ما أبرز الخصائص والمظاهر الموضوعية والبلاغية في سورة الضحى؟
- ما أبرز الخصائص الموضوعية والبلاغية في سورة الشرح؟
- ما أوجه التناسب والترابط الموضوعي والبلاغي بين السورتين ؟
- كيف يسهم إدراك هذا التناسب في أثره في فهم النص القرآني واستنباط دلالاته التربوية والإيمانية؟

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعريف بمفهوم النظم القرآني والتناسب بين السور.
- إبراز الخصائص الموضوعية والبلاغية في سورة الضحى.
- بيان الخصائص الموضوعية والبلاغية في سورة الشرح.
- الكشف عن أوجه التناسب والترابط بين السورتين.
- إبراز أثر التناسب في تحقيق وحدة البناء القرآني.
- بيان بعض الدلالات التربوية والإيمانية المستفادة من السورتين.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في الآتي:

- ارتباطه بكتاب الله تعالى ودراسة جانب من جوانب إعجازه البياني.
- إسهامه في إبراز أهمية علم المناسبات في فهم القرآن الكريم.
- الكشف عن وحدة النظم القرآني وتكامل مقاصد السور.
- إثراء الدراسات القرآنية المتعلقة بالتفسير الموضوعي والنظم القرآني.
- الاستفادة من الدلالات التربوية والإيمانية التي تتضمنها السورتان.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وإشكالية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: الإطار النظري للنظم القرآني والتناسب .

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لسورة الضحى

المبحث الثالث: دراسة تحليلية لسورة الشرح

المبحث الرابع: أوجه التناسب بين سورتي الضحى والشرح

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار النظري للنظم القرآني والتناسب

شغلت مسألة إعجاز القرآن العلماء منذ القرون الأولى، واختلفت آراؤهم في تحديد وجهه. ومن أهم مااستقر عليه المحققون أن الإعجاز لا يرجع إلى اللفظة وحدها، ولا إلى المعنى وحده، وإنما إلى الطريقة التي تصاغ بها الألفاظ لتؤدي المعاني، وهذا ما سمّوه " النظم". ولم يتوقف النظر عند حدود الجملة والآية، بل امتد إلى الصلة بين الآيات داخل السورة، ثم بين السورة وما يجاورها، فنشأ من ذلك علم المناسبات. وسنحاول في هذا المبحث أن نوضح هذين المفهومين بالقدر الذي يحتاجه الجانب التطبيقي من البحث.

المطلب الأول: مفهوم النظم القرآني

أولاً: تعريف النظم لغةً واصطلاحًا

النظم في اللغة: إذا رجعنا إلى المعاجم وجدنا أن مادة (نظم) تدل على التأليف وضم الشيء إلى نظيره. وقولهم: نظمتُ الخرز، إذا جعلته في خيط واحد متتابعاً[1]

[1]()ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711ه)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، مادة: نظم، (12/ 587).

. والملاحظ أن العرب لم يستعملوا هذه الكلمة لمجرد الجمع، وإنما للجمع الذي يقوم على ترتيب يجعل المفترق شيئاً واحداً متصلاً.

النظم في الاصطلاح: فيُقصد به تأليف الكلام على وجه تتبع فيه الألفاظ ترتيب المعاني في النفس، فتقع كل كلمة في المكان الذي يطلبه المعنى، بما يوافق قواعد اللغة العربية ومقتضى المقام. وبهذا لا يكون النظم مجرد كلمات متجاورة، بل شبكة من العلاقات بين أجزاء الكلام، ولا تتحدد قيمة الكلمة فيها إلا بموقعها من غيرها[1].

ثانيًا: النظم عند علماء البلاغة

تحدث عن النظم قبل عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ) عدد من العلماء، منهم الجاحظ والخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار[2]. لكن كلامهم كان إشارات متفرقة لم تبلغ حدّ النظرية. أما الجرجاني فقد جمع هذه الإشارات وبنى عليها نظرية متكاملة في كتابه "دلائل الإعجاز". وخلاصة رأيه أن الكلمة المفردة لا توصف بالفصاحة ولا بعدمها، وأن المزية تظهر حين تتعلق الكلمات بعضها ببعض، ويصبح بعضها سبباً لبعض[3].

ويرى أن هذا التعلق يقوم على مراعاة معاني النحو، أي ما يحدث من فروق في الدلالة بسبب التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، والفصل والوصل[4]. فالنحو عنده ليس مجرد إعراب، بل أداة لفهم المعنى.

واستمر البلاغيون بعده على هذا الأساس، فدرسوه من جوانب مختلفة. فمنهم من اهتم بأثر التركيب النحوي في المعنى، فمنهم من اهتم بأثر التركيب النحوي في المعنى، ومنهم من تتبع الصور البيانية والمحسنات البديعية، ومنهم من نظر إلى موقع الكلام من السياق العام. وهذه الجوانب متداخلة، ولذلك لم يكن النظم بابا من أبواب البلاغة، بل كان الإطار الذي تفهم من خلاله أبوابها كلها.

ثالثًا: خصائص النظم القرآني

من يتأمل أسلوب القرآن يلاحظ فيه خصائص لا تجتمع في كلام آخر. وأولها الدقة في اختيار الكلمة، حتى إنك لو حاولت أن تضع مكانها مرادفًا لها لاختلّ المعنى أو ضعف. وقد نبّه ابن عطية إلى هذا، وذكر أن القارئ لو بحث في كلام العرب كله عن لفظة أنسب من لفظة القرآن في موضعها لما وجدها[5]. ويرتبط بذلك أن اللفظ والمعنى في القرآن متلازمان، فلا يصح فهم أحدهما مع إغفال الآخر.

وللقرآن أيضًا إيقاع وجرس صوتي يؤثر في السامع قبل أن يتأمل المعنى، وهذا أمر يدركه حتى من لا يعرف العربية معرفة دقيقة. كما أن آيات السورة الواحدة، مهما تعددت موضوعاتها في الظاهر، تجتمع في الغالب حول غرض واحد، وهو ما يسميه المعاصرون الوحدة الموضوعية. ويُضاف إلى ذلك الإيجاز الذي تحمل فيه الكلمات القليلة معاني كثيرة، واتساع الدلالة الذي يسمح بتعدد التفسيرات دون الخروج عن المقصد العام للنص.

المطلب الثاني: التناسب بين السور

أولاً: مفهوم التناسب وأنواعه

التناسب في اللغة: التناسب والمناسبة في اللغة من المقاربة والمشاكلة. يقال فلان شاكلة فلانا، أي يقاربه ويشاكله، ومنه النسيب، أي القريب المتصل[6]. ونقل الزركشي هذا المعنى إلى علوم القرآن، فجعل المناسبة

---

[1])ينظر: الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية – بيروت، (242).

[2] ينظر: الخطابي، حمد بن محمد (ت 388ه) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف- القاهرة، ط5، 1997م، (35).

[3] ينظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471ه)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، المدني- القاهرة، ط3، 1992م،(4، 46).

[4] ينظر: المصدر نفسه، (81).

[5] ينظر: ابن عطية ، عبد الحق بن غالب (ت 542ه) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422، (1/ 52)

[6] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب)، (1/ 755).

بين الآيات قائمة على معنى يربط بينها. وقد يكون هذا الرابط عامًا أو خاصًا، وقد يكون عقليًا أو حسيًا أو خياليًا، أو من أي نوع آخر من أنواع العلاقات[1].

وبناءً على ذلك يمكن تعريف التناسب بأنه العلم الذي يبحث في وجوه الارتباط بين أجزاء القرآن، سواء كانت آيات في سورة واحدة، أو سورًا متتالية في ترتيب المصحف. ويقسّمه الباحثون عادة إلى قسمين:

التناسب الداخلي: وهو الصلة بين آيات السورة الواحدة، ويدخل فيه تناسب أول السورة مع آخرها.

التناسب الخارجي: وهو الصلة بين السورة وما قبلها أو ما بعدها، ومنه ارتباط خاتمة السورة بفاتحة السورة التي تليها.

وقد يكون الرابط في كلا القسمين موضوعيًا يرجع إلى وحدة الغرض، وقد يكون أسلوبيًا يظهر في تشابه التراكيب أو الصور[2].

ثانيًا: أهمية التناسب في فهم القرآن

يرى المشتغلون بهذا العلم أنه من أدق ما يحتاج إليه المفسر، لأنه يكشف قدرة الدارس على الفهم وعمق نظره في الكلام[3]. وكان الرازي يرى أن أكثر لطائف القرآن موجودة في ترتيب آياته وروابطها[4]، ولذلك اهتم بها كثيرًا في تفسيره.

وتظهر أهمية هذا العلم بوضوح عند القارئ الذي يلاحظ انتقال السورة من موضوع إلى آخر، فيظن أنه انتقال بلا رابط. فإذا تأمل وجد صلة دقيقة تجمع بين الموضوعين، وتبين له أن السورة بناء واحد متماسك.

ومن هنا يساعد علم المناسبات على الرد على من يدّعي وجود تفكك أو تكرار في القرآن، ويضيف وجهًا من وجوه الإعجاز إلى ما ذكره البلاغيون على مستوى الجملة. كما يعين على فهم مقاصد القرآن الكبرى، وعلى استخراج معانٍ لا تظهر بالنظر إلى الآية منفردة.

ثالثًا: جهود العلماء في بيان التناسب

لم يظهر علم المناسبات علمًا مستقلًا منذ البداية، بل بدأ بملاحظات متفرقة في كتب التفسير، ثم أفرده العلماء بمؤلفات خاصة. ويذكر الزركشي أن أول من اهتم به هو أبو بكر النيسابوري (ت 324هـ)، فقد كان يسأل عن سبب وضع الآية بجانب الأخرى، والسورة بجانب الأخرى[5]. ويمكن تقسيم جهود العلماء بعده إلى أربعة اتجاهات:

الاتجاه التفسيري: ويضم المفسرين الذين جعلوا بيان الروابط جزءًا من منهجهم. ومن أشهرهم فخر الدين الرازي (ت 606هـ) في "مفاتيح الغيب"، فقد اهتم كثيرًا بوجوه الاتصال بين الآيات والسور.

الاتجاه البلاغي: وأبرز من يمثله عبد القاهر الجرجاني. فرغم أن نظريته اهتمت بالجملة والتركيب، فإنها مهدت لمن جاء بعده لنقل فكرة التعلق من الكلمات إلى الآيات والسور.

الاتجاه التأليفي: ويضم العلماء الذين ألّفوا كتبًا مستقلة في هذا العلم، ومنهم: أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت 708هـ) في "البرهان في تناسب سور القرآن"، برهان الدين البقاعي (ت 885هـ) في "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وهو أوسع ما كُتب في هذا الباب، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في "تناسق الدرر في تناسب السور"، المعروف أيضًا بـ"أسرار ترتيب القرآن".

الاتجاه المعاصر: وفيه ارتبط علم المناسبات بالدراسات الحديثة في الوحدة الموضوعية وتحليل النصوص. ومن أبرز من أسهموا فيه: محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم"، وفيه درس سورة البقرة على أنها

([1]) ينظر: الزركشي، محمد بن عبدالله (ت 694ه)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية- القاهرة، ط1، 1957م، (1/ 35).

([2]) البقاعي، نظم الدرر، (1/ 6- 7).

([3]) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 35).

([4]) ينظر: الرازي، محمد بن عمر(ت606)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420ه ، (10/ 113).

([5]) ينظر: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت 911ه)الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، 1974م، (3/ 369).

بناء واحد رغم طولها وتعدد موضوعاتها، سيد قطب في "في ظلال القرآن"، من خلال حديثه عن محور السورة وشخصيتها الخاصة.

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لسورة الضحى

سورة الضحى من السور المكية القصيرة، ونزلت في وقت كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه بحاجة إلى التثبيت والمواساة. وعلى قِصَرها فهي تحمل معانيَ كثيرة من التكريم والطمأنة، وتصلح نموذجًا واضحًا لدراسة النظم القرآني، لأن جوانب الصوت والمعنى والبلاغة تجتمع فيها في مساحة صغيرة. ونحاول في هذا المبحث أن نتعرف على موضوعات السورة ومقاصدها أولًا، ثم نتتبع مظاهر النظم فيها.

المطلب الأول: موضوعات السورة ومقاصدها

أولًا: موضوعات السورة

ذكر المفسرون أن السورة نزلت بعد أن تأخر الوحي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مدة، فقال بعض المشركين إن ربه قد تركه[1].

ومعرفة هذا السبب تساعد على فهم موضوعات السورة، لأنها جاءت ردًّا على هذا القول وتطمينًا للنبي بعده. ويمكن أن نتتبع هذه الموضوعات بحسب ترتيب ورودها:

1- القسم بالضحى والليل: تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[2]. والضحى أول النهار حين يرتفع الضوء، والليل إذا سجى هو الليل حين يسكن ويشتد ظلامه[3]. ويرى عدد من المفسرين أن في اختيار هذين الوقتين إشارة إلى حال الوحي نفسه، فكما يأتي الضوء بعد الظلام، يعود الوحي بعد انقطاعه، وتنقضي فترة الانتظار كما ينقضي الليل[4].

2- نفي الترك والبغض: وجواب القسم قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[5]. والآية ردّ مباشر على ما قاله المشركون، فهي تنفي أن يكون الله قد ترك نبيه، وتنفي أن يكون قد أبغضه.

3- الوعد بما هو خير: ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[6]، وبعده: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[7]. وقد حمل بعض المفسرين "الآخرة" على الدار الآخرة، وحملها آخرون على آخر أمر النبي في دعوته مقارنة بأوله[8]. والمعنيان لا يتعارضان، ففي كل منهما وعدٌ بأن ما ينتظر النبي خير مما مضى.

4- التذكير بنعم الماضي: تنتقل السورة بعد ذلك إلى حياة النبي قبل البعثة، فتذكّره بأنه كان يتيمًا فآواه الله، وكان ﴿ضَالًّا﴾ أي غير عارف بالشريعة فهداه، وكان ﴿عَائِلًا﴾ أي فقيرًا فأغناه. والغرض من هذا التذكير أن الله الذي رعاه في طفولته وشبابه لن يتركه وهو يحمل رسالته.

([1]) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256ه)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه ، كتاب التفسير، باب: سورة الضحى، رقم(4950).

[2] سورة الضحى، الآية: 2،1.

[3] ينظر: الطبري، محمد بن جرير (319ه)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط1، 2000م، (24/ 484-486).

[4] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393ه)، التحرير والتنوير، الدار التونسية- تونس، 1984م، (30/ 394- 395).

[5] سورة الضحى، الآية: 3.

[6] سورة الضحى، الآية: 4.

[7] سورة الضحى، الآية: 5.

[8] ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت774ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ط2، 1999م، (8/ 425).

5- التكليف بعد الامتنان: وتنتهي السورة بثلاثة توجيهات: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1]. وبهذا تنتقل السورة من ذكر ما أعطاه الله لنبيه إلى ما يطلبه منه في مقابل ذلك.

ثانيًا: مقاصد السورة

إذا نظرنا إلى السورة في مجملها وجدنا أن مقصدها الأول هو تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة ما قد يقع في نفسه من حزن أو قلق بسبب انقطاع الوحي وكلام المشركين. ويخدم هذا المقصدَ أن السورة تتحدث عن عناية الله بنبيه في الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضي يظهر في نعم الإيواء والهداية والإغناء، والحاضر في نفي الترك، والمستقبل في الوعد بالعطاء حتى الرضا.

وفي السورة مقصد ثانٍ يتعلق بالشكر، فالنعمة في القرآن تقتضي عملًا يناسبها. وقد لاحظ المفسرون التقابل بين النعم والتكاليف في آخر السورة: من كان يتيمًا فآواه الله لا يقهر اليتيم، ومن كان فقيرًا فأغناه الله لا ينهر السائل، ومن هداه الله يحدّث بنعمة ربه[2]. وقد جمع ابن عاشور أغراض السورة في إبطال م ازعمه المشركون من انقطاع الوحي، وبشارة النبي –صلى الله عليه وسلم- بأن آخرته خير بما أحاطه الله –تعالى- به من ألطاف في صباه وشبابه، وأمره بشكر هذه النعم بما يناسبها[3].

المطلب الثاني: مظاهر النظم في السورة

أولًا: التناسق الصوتي

أول ما يلفت السامع في سورة الضحى هو فواصلها. فالآيات الثماني الأولى تنتهي كلها بألف مقصورة: (الضحى، سجى، قلى، الأولى، فترضى، فآوى، فهدى، فأغنى). وهذا الصوت الممدود الهادئ يناسب جو المواساة الذي يغلب على هذا الجزء من السورة.

تتغير الفاصلة في الآيات الثلاث الأخيرة إلى (تقهر، تنهر، فحدّث). ويبدو أن هذا التغير لم يأتِ عرضًا، فهو يتزامن مع انتقال السورة من الحديث عن النعم إلى توجيه الأوامر والنواهي، فجاءت الفواصل أقصر وأقوى، مناسبةً لمقام التكليف.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن في الأصوات نفسها ما يوحي بالمعنى، فالمدّ في "الضحى" يناسب امتداد الضوء، وفي "سجى" ما يناسب السكون والهدوء. وهذه ملاحظات تأويلية تحتاج إلى حذر، لكنها تشير إلى أن صوت اللفظ في القرآن لا ينفصل عن المقام الذي جاء فيه.

ثانيًا: الترابط الدلالي

تتدرج السورة في موضوعاتها تدرجًا واضحًا. فهي تبدأ بالقسم، ثم تنفي الترك، ثم تعد بالخير، ثم تذكّر بالنعم السابقة، وتنتهي بالتوجيه العملي. وكل مرحلة تمهد لما بعدها: فالقسم يهيئ النفس لجوابه، ونفي الترك يقتضي بيان ما بعده من عطاء، والتذكير بالماضي يقوّي الثقة بالوعد، ثم يأتي التكليف نتيجةً طبيعية لكل ما سبق.

ويلاحظ القارئ أيضًا أن السورة تجمع بين الأزمنة الثلاثة في سياق واحد. فقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[4] يتعلق بالحاضر الذي كان النبي يعيشه، وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[5] يتجه إلى المستقبل، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ يعود إلى الماضي. وبهذا تكون عناية الله بنبيه أمرًا متصلًا لا يرتبط بمرحلة دون أخرى.

---

[1] سورة الضحى، الآية: 9، 10، 11.
[2] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 401 -403).
[3] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 393-394).
[4] سورة الضحى، الآية: 3.
[5] سورة الضحى، الآية: 5.

ويظهر هذا الترابط كذلك في العلاقة بين النعمة والتكليف. فالتوجيهات الثلاثة في آخر السورة تقابل النعم الثلاث التي ذكرت قبلها، وهذا يعبر عن منهج القرآن في ربط الإيمان بالعمل، وفي جعل شكر النعمة سلوكًا عمليًا وليس مجرد كلام.

ثالثًا: الأساليب البلاغية

1- القسم: افتتحت السورة بالقسم في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[1]. والغرض منه تأكيد الخبر الذي يليه، ولفت انتباه المخاطب إليه. ويناسب التأكيد هنا أن الخبر جاء ردًّا على كلام المشركين الذي ربما أثّر في النفس.

2- النفي وحذف المفعول: في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [2]نفيان متتاليان، الأول للترك والثاني للبغض. وفي الآية لطيفة نبّه عليها الزمخشري وغيره، هي أن المفعول ذُكر مع الفعل الأول (ودّعك)، وحُذف من الفعل الثاني فلم يقل (قلاك)[3]. وقد عُلّل ذلك بمراعاة الفاصلة، وبأن المقام لا يناسب أن يُنسب البغض صراحةً إلى ضمير النبي، ولو في سياق النفي. ويتكرر حذف المفعول في (فآوى، فهدى، فأغنى)، والأصل (فآواك، فهداك، فأغناك).

3- التوكيد باللام: في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ جاءت اللام لتأكيد الوعد. واجتماع اللام مع "سوف" في الآية الثانية يفيد أن العطاء متحقق، وإن تأخر وقته.

4- الاستفهام التقريري: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ وما بعده، لا يُراد من الاستفهام طلب الجواب، بل حمل المخاطب على الإقرار بأمر يعرفه، وتذكيره بنعم عاشها بنفسه.

5- الإجمال ثم التفصيل: جاء الوعد مجملًا في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، فلم يُذكر نوع العطاء، ليبقى مفتوحًا لكل خير. ثم فصّلت الآيات التالية صورًا من عطاء الله السابق، فكانت شاهدًا على صدق الوعد المجمل.

6- النهي والأمر: تختم السورة بالانتقال من الخبر إلى الإنشاء. ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ و﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ أسلوب نهي، وفي قوله: ﴿فَحَدِّثْ﴾ أسلوب أمر. ويُلاحظ أن السورة بدأت بالنهي عن الإساءة إلى الضعيف، ثم أمرت بالتحدث بالنعمة. وقُدّم المفعول في الآيات الثلاث (اليتيمَ، السائلَ، بنعمة ربك) لإبراز موضع العناية فيها.

المبحث الثالث: دراسة تحليلية لسورة الشرح

سورة الشرح من السور المكية القصيرة، ونزلت بعد سورة الضحى. وكثير من المفسرين يرون أنها متممة لها، لأنها تتابع الحديث نفسه عن عناية الله بنبيه صلى الله عليه وسلم، وتنتقل من تذكيره بنعم حياته الأولى إلى تذكيره بنعم أخرى تتصل بالرسالة نفسها. وتبلغ هذه الصلة بين السورتين حدًّا جعل بعض السلف يعدّهما سورة واحدة، كما سيأتي. ولذلك تمثل السورة في هذا البحث نموذجًا للتناسب الداخلي بين آياتها، وللتناسب الخارجي بينها وبين السورة التي قبلها.

المطلب الأول: موضوعات السورة ومقاصدها

أولًا: تذكير النبي بنعم الله عليه

---

[1] سورة الضحى، الآية: 1،2.

[2] سورة الضحى، الآية: 3.

[3] ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر(538ه)، الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407ه، (4/ 766).

تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1] [الشرح: 1]. وشرح الصدر في أصل اللغة توسيعه، والمراد هنا أن الله وسّع صدر نبيه للنبوة، وجعله قادرًا على تحمّل أعبائها وما يلقاه من أذى قومه في سبيلها[2]. ومن المفسرين من أدخل في معناه حادثة شق الصدر، ولا تعارض بين القولين، لأن الشرح الحسي ينتهي في النهاية إلى الشرح المعنوي[3].

ثم يذكر الله نعمة ثانية في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[4]. والوزر في الأصل الحِمْل الثقيل. وقد اختلف المفسرون في المراد به، فمنهم من حمله على ما كان يثقل نفس النبي من همّ قومه وضلالهم، ومنهم من حمله على أعباء الرسالة قبل أن يعينه الله عليها. والمعنى المشترك بين الأقوال أن الله خفّف عنه ما كان يثقل عليه.

أما النعمة الثالثة ففي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[5] [الشرح: 4]. وقد فسّرها مجاهد وقتادة وغيرهما بأن اسم النبي يُذكر مع اسم الله في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة(3). ويكفي هذا للدلالة على أن رفع ذكره لم يكن مرتبطًا بزمن معين، بل هو باقٍ ما بقي الأذان.

ومن الواضح أن هذه النعم الثلاث تكمل ما بدأته سورة الضحى. ففي تلك السورة ذكّر الله نبيه بنعم عاشها قبل البعثة: الإيواء والهداية والإغناء. وفي هذه السورة يذكّره بنعم تتعلق بالرسالة نفسها، وهي توسيع الصدر لتحمّلها، وتخفيف ثقلها، ورفع ذكر حاملها.

ثانيًا: الوعد باليسر بعد العسر

بعد ذكر النعم تأتي الآيتان: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6]. والفاء في أول الآية تربطها بما قبلها، فكأن المعنى: إذا كان الله قد أنعم عليك بهذا كله، فلا تيأس مما أنت فيه من شدة، لأن اليسر قريب.

وقد وقف العلماء طويلًا عند تكرار هذه الجملة. فلاحظوا أن "العسر" جاء معرَّفًا في الموضعين، والاسم المعرف إذا أُعيد كان الثاني هو الأول، فالعسر واحد. أما "يسرًا" فجاء منكرًا، والنكرة إذا أُعيدت كانت الثانية غير الأولى، فاليسر اثنان. ومن هنا اشتهر قولهم: «لن يغلب عسرٌ يسرين»[6]. وذهب بعض المفسرين إلى أن الآية الثانية تأكيد للأولى فقط، لكن الزمخشري رجّح أن يُحمل وعد الله على أوسع ما يحتمله اللفظ[7].

ثالثًا: التوجيه إلى العمل والتوجه إلى الله

تُختم السورة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[8]. و"انصب" من النَّصَب، وهو التعب، أي إذا فرغت من عمل فاجتهد في عمل آخر. وقد تعددت أقوال السلف في تحديد هذا العمل: فقيل إذا فرغت من الصلاة فاجتهد في الدعاء، وقيل إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في العبادة، وقيل إذا فرغت من الجهاد فتفرغ للعبادة[9]. ولعل عدم ذكر المفعول هو الذي فتح المجال لهذه الأقوال كلها.

وبهذا تسير السورة على المنهج نفسه الذي رأيناه في سورة الضحى، فهي تبدأ بالامتنان، وتنتهي بالتكليف. والتكليف هنا ليس مقابلًا للنعمة بقدر ما هو طريق لشكرها: فمن وسّع الله صدره، وخفف عنه حمله، ورفع ذكره، فحقه أن يجتهد في العمل وأن يجعل رغبته كلها إلى ربه.

رابعًا: مقاصد السورة

---

[1] سورة الشرح، الآية: 1.
[2] ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص770-771.
[3] ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج8، ص429-430.
[4] سورة الشرح، الآية: 2،3.
[5] سورة الشرح، الآية: 4.
[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (8/ 430-431).
[7] ينظر: الزمخشري: الكشاف،(4/ 771- 772).
[8] الشرح، الآية: 7-8.
[9] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (8/ 433).

يمكن أن نجمل مقاصد السورة في ثلاثة:
تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم: وذلك بتذكيره بأن الله الذي أعانه على الرسالة في بدايتها لن يتركه في ما بقي منها.
تقرير سنة إلهية عامة: وهي أن الشدة لا تدوم، وأن اليسر يصحبها ويغلبها.
توجيه النعمة إلى العمل: فلا تكون نهاية الشدة سببًا للراحة والانقطاع، بل بداية لاجتهاد جديد يتجه فيه العبد إلى ربه.

المطلب الثاني: مظاهر النظم في سورة الشرح

أولًا: التناسق الصوتي

إذا تتبعنا فواصل السورة وجدنا أنها تأتي في ثلاث مجموعات تتغير بتغير المعنى:
الآيات الأربع الأولى: تنتهي بكاف الخطاب بعد حرف ساكن (صدرَك، وزرَك، ظهرَك، ذكرَك). وتكرار ضمير المخاطب في آخر كل آية يناسب مقام الامتنان، لأن الحديث كله موجه إلى النبي وعنه.
الآيتان الخامسة والسادسة: تنتهيان بكلمة (يسرًا) مكررة، ويختم المدّ الآيتين فيبقى أثر البشارة في نفس السامع.
الآيتان الأخيرتان: تنتهيان بـ(فانصب، فارغب). وهما فعلا أمر قصيران ينتهيان بحرف الباء الساكن، وهذا يناسب مقام التوجيه والحث.
وهذا التغير في الفواصل يتطابق مع انتقال السورة من الامتنان إلى البشارة ثم إلى التكليف، وهو قريب مما لاحظناه في خاتمة سورة الضحى.

ثانيًا: الترابط الدلالي

تسير السورة في ثلاث مراحل يترتب كل منها على ما قبله. فالنعم الماضية دليل على صدق الوعد بالمستقبل، والوعد باليسر يمهد للأمر بالعمل. فكأن السورة تقول للنبي: قد رأيت عناية الله بك في ما مضى، فثق بوعده في ما يأتي، ثم اعمل وارغب إليه.
ويظهر التناسب بين السورة وسورة الضحى بوضوح في افتتاحها، لأن قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ يأتي على صيغة قوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ في سورة الضحى نفسها. ولشدة هذا التشابه رُوي عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يعدّان السورتين سورة واحدة، ويقرآنهما في ركعة واحدة دون أن يفصلا بينهما بالبسملة.
وقد ردّ الرازي هذا الرأي، لكنه أقرّ بأن ما دعاهما إليه هو أن أول سورة الشرح يشبه العطف على ما في سورة الضحى[1]. وسواء أكانتا سورة واحدة أم لا، فإن هذه الرواية شاهد على قوة الصلة بينهما، وهي من أوضح أمثلة التناسب الخارجي بين السور.

ثالثًا: الأساليب البلاغية

1- الاستفهام التقريري: دخلت همزة الاستفهام في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ على حرف النفي، فصار المعنى إثباتًا مؤكدًا: قد شرحنا لك صدرك. والمقصود من ذلك حمل النبي على الإقرار بنعمة يعرفها ويجدها في نفسه.
2- الإبهام ثم الإيضاح: كان من الممكن أن يقال: (ألم نشرح صدرك)، لكن الآية جاءت بكلمة ﴿لَكَ﴾ قبل ﴿صَدْرَكَ﴾. ونبّه الزمخشري إلى أن السامع يفهم من ﴿لَكَ﴾ أن هناك شيئًا مشروحًا، ثم يأتي ﴿صَدْرَكَ﴾ فيبيّن ما كان مبهمًا، وكذلك الأمر في ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾ و﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾[2]. وأضاف ابن عاشور أن هذا الأسلوب يثير التشويق، ويدل في الوقت نفسه على أن النعمة كانت لأجل النبي خاصة[3].

---

[1] ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، (32/ 205).
[2] ينظر: الزمخشري: الكشاف، (4/ 771).
[3] ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (30/ 409-410، 413).

3- التصوير: في قوله تعالى ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1] صوّر الله الهمّ المعنوي في صورة حمل ثقيل على الظهر، حتى إن الظهر يُصدر صوتًا من ثقله. وهذه الصورة الحسية تقرّب إلى السامع مقدار ما خففه الله عن نبيه.

4- التعبير بـ"مع" بدل "بعد": لم تقل الآية: (إن بعد العسر يسرًا)، بل قالت: ﴿مَعَ الْعُسْرِ﴾. وقد لاحظ الزمخشري أن في ذلك تقريبًا لليسر، حتى كأنه مصاحب للعسر وليس متأخرًا عنه، وفي هذا زيادة في التسلية وتقوية للقلب[2].

5- التكرار والتعريف والتنكير: تكرار الآية يؤكد الوعد. والتنكير في ﴿يُسْرًا﴾ يحتمل التعظيم، أي يسرًا عظيمًا، كما يحتمل التعدد، على ما سبق بيانه.

6- حذف المفعول: لم تذكر الآية ما يفرغ منه النبي ولا ما ينصب فيه في قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾. وهذا الحذف يجعل الأمر شاملًا لكل فراغ وكل عمل.

7- تقديم الجار والمجرور: في قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[3] قُدّم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على الفعل، وهذا يفيد الاختصاص، أي: اجعل رغبتك إلى ربك وحده لا إلى غيره.

8- الانتقال من الخبر إلى الإنشاء: جاءت الآيات الست الأولى أخبارًا، ثم انتقلت السورة في آخرها إلى الأمر. وهذا الانتقال يوافق انتقال المعنى من الامتنان إلى التكليف.

المبحث الرابع: أوجه التناسب بين سورتي الضحى والشرح

بعد أن درسنا كل سورة على حدة في المبحثين السابقين، نحاول في هذا المبحث أن ننظر إلى السورتين معًا. والسؤال الذي يوجّه هذا المبحث هو: ما الذي يجعل سورة الشرح تأتي بعد سورة الضحى مباشرة في ترتيب المصحف؟ وما الذي نكسبه في الفهم والتفسير حين نقرؤهما متتاليتين؟

وقد سبق أن ذكرنا رواية طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يعدّان السورتين سورة واحدة. ومع أن جمهور العلماء لم يأخذوا بهذا الرأي، فإنهم لم يختلفوا في قوة الصلة بين السورتين. فقد قرر ابن الزبير الغرناطي أن معنى سورة الشرح من معنى السورة التي قبلها، وأن السورتين معًا تعدّدان نعم الله على نبيه[4]. ورأى ابن عاشور أن مضمون سورة الشرح أشبه بالحجة على ما جاء في سورة الضحى[5]. وسنعرض أوجه هذا التناسب في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التناسب الموضوعي بين السورتين

أولًا: وحدة المقصد

تجتمع السورتان على مقصد واحد، هو تثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم- وتسليته في مرحلة صعبة من دعوته في مكة. لكن كل سورة تعالج هذا المقصد من جهة مختلفة. فسورة الضحى تعالج قلقًا محددًا هو انقطاع الوحي، فتنفي أن يكون الله قد ترك نبيه أو أبغضه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[6]. أما سورة الشرح فتعالج الثقل الذي يحمله صاحب الرسالة، فتذكّره بأن الله قد خفّف عنه هذا الحمل: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[7].

---

[1] سورة الشرح، الآية: 3.
[2] ينظر: الزمخشري: الكشاف، (4/ 771-772).
[3] سورة الشرح، الآية: 8.
[4] ينظر: ابن الزبير الغرناطي: البرهان في تناسب سور القرآن، (368).
[5] ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (30/ 407).
[6] سورة الضحى، الآية: 3.
[7] سورة الشرح، الآية : 2-3.

وتلتقي السورتان أيضًا في الوعد بالمستقبل. ففي الضحى وعد بالعطاء حتى الرضا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1]، وفي الشرح وعد بأن اليسر يصحب العسر: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]. والوعد الأول مجمل، لم يحدد نوع العطاء، والثاني يحدد قاعدة يسير عليها هذا العطاء: فالشدة لا تأتي وحدها، وإنما يأتي معها الفرج.

ثانيًا: التكامل في عرض النعم

تذكر كل سورة ثلاث نعم، لكن نعم الضحى غير نعم الشرح:

في سورة الضحى: نعم تتعلق بحياة النبي الشخصية قبل البعثة: الإيواء بعد اليتم، والهداية بعد الحيرة، والغنى بعد الفقر.

في سورة الشرح: نعم تتعلق بالرسالة نفسها: شرح الصدر لتحمّلها، ووضع الوزر الذي كان يثقله، ورفع الذكر الذي يقترن باسم الله في الأذان والتشهد.

فالسورة الأولى تتحدث عن عناية الله بمحمد الإنسان، والثانية عن عنايته بمحمد الرسول. وبهذا تكتمل الصورة: فالله الذي رعاه طفلًا وشابًا هو الذي أعانه نبيًّا.

وقد أشار ابن الزبير الغرناطي إلى سبب لطيف في الفصل بين هذه النعم في سورتين بدلًا من ذكرها في سورة واحدة. فقد رأى أن الإنسان حين يعدّد نعمه على غيره يبدأ عادة بما يراه الآخر بعينه، ثم ينتقل إلى نعم أسبق وأعمق لم يكن للآخر فيها أي كسب. واستشهد على ذلك بقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[3]بعد أن بشّره بيحيى[4].

ثالثًا: من خاتمة الضحى إلى فاتحة الشرح

تُختم سورة الضحى بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]. ثم تبدأ سورة الشرح مباشرة بعرض نعم جديدة. وقد لاحظ البقاعي هذه الصلة، فجعل مقصود سورة الشرح تفصيل النعمة التي أمر النبي بالتحديث بها في آخر الضحى. ورأى أن التحديث بالنعمة يتحقق في الحقيقة بشكرها، وأن هذا الشكر هو ما تأمر به سورة الشرح في آخرها من النصب في العبادة والرغبة إلى الله[6].

وبهذا الفهم لا تكون السورة الثانية مجرد تكرار لموضوع الأولى، بل استجابة لما خُتمت به. فالضحى تأمر بالتحديث بالنعمة، والشرح تبدأ بتعداد النعم، ثم تنتهي ببيان طريق شكرها.

رابعًا: الانتقال من التثبيت إلى التكليف

يتكرر في السورتين البناء نفسه: امتنان ثم تكليف. فسورة الضحى تنتهي بثلاثة توجيهات تتعلق بالتعامل مع الناس: ألا يقهر اليتيم، وألا ينهر السائل، وأن يحدّث بنعمة ربه. وسورة الشرح تنتهي بتوجيهين يتعلقان بالعلاقة مع الله: أن يجتهد في العبادة إذا فرغ من عمله، وأن يجعل رغبته إلى ربه وحده.

فالتكليف في السورة الأولى اجتماعي، وفي الثانية تعبدي. وإذا قرأنا السورتين معًا وجدنا أن شكر النعمة يتحقق بالإحسان إلى الخلق والإخلاص للخالق معًا.

المطلب الثاني: التناسب البلاغي واللفظي

أولًا: التشابه في الافتتاح وفي بناء الجمل

تبدأ السورتان بأسلوب إنشائي يلفت الانتباه. فسورة الضحى تبدأ بالقسم، وسورة الشرح تبدأ بالاستفهام التقريري. وهما أسلوبان مختلفان، لكنهما يؤديان وظيفة واحدة، هي تهيئة النفس لتلقي ما يأتي بعدهما.

---

[1] سورة الضحى، الآية: 7.
[2] سورة الشرح، الآية : 5-6.
[3] سورة مريم، الآية: 9
[4] ينظر: ابن الزبير الغرناطي، البرهان، (368).
[5] سورة الضحى، الآية: 11
[6] ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (22/ 115).

لكن أوضح ما يجمع السورتين هو التشابه في بناء الجمل. فقوله تعالى في الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[1]، يأتي على الصيغة نفسها التي يأتي عليها قوله في الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[2]. وقد جعل السيوطي هذا التشابه في الجمل أحد وجوه المناسبة بين السور، ومثّل له بالضحى والشرح[3]. وهذا التشابه هو نفسه ما جعل طاوس وعمر بن عبد العزيز يعدّان أول الشرح كأنه معطوف على ما في الضحى.

ويضاف إلى ذلك أن السورتين تخاطبان النبي بضمير المخاطب في أغلب آياتهما (ودّعك، يجدك، يعطيك، صدرك، وزرك، ذكرك). وهذا يجعل الخطاب فيهما شخصيًا وقريبًا، ويناسب مقام المواساة.

ثانيًا: الفواصل

تختلف فواصل السورتين بحسب تنوع مقاطعها الدلالية؛ ففي الضحى تنتهي آياتها الثمانية الأولى بالألف المقصورة، والشرح تنتهي آياتها الأولى بالكاف المسبوقة بالراء الساكنة غالبًا (صدرك، وزرك، ظهرك، ذكرك). لكن السورتين تشتركان في ظاهرة أدق من تشابه الحروف، هي أن الفاصلة في كل منهما تتغير حين ينتقل المعنى من الامتنان إلى التكليف. ففي الضحى تتحول الفاصلة من المد الهادئ إلى (تقهر، تنهر، فحدّث)، وفي الشرح تتحول إلى (فانصب، فارغب). وهذا يعني أن الإيقاع في السورتين يتبع المعنى ولا ينفصل عنه[4].

ثالثًا: التقابل بين الأحوال

تقوم السورتان كلتاهما على التقابل بين حالين: حال الشدة وحال الفرج.

في الضحى: يقابل الليلُ الضحى، ويقابل الإيواءُ اليتم، والهدايةُ الحيرة، والغنى الفقر.

في الشرح: يقابل شرحُ الصدر ضيقَه بتكذيب القوم، ويقابل وضعُ الوزر ثقلَه، ويقابل اليسرُ العسرَ.

وهذه التقابلات كلها تتجه في اتجاه واحد، من الضيق إلى السعة. وكأن السورتين تقولان بأساليب مختلفة إن حال النبي يسير دائمًا من شدة إلى فرج، وإن هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل.

المطلب الثالث: دلالات التناسب وأثره في التفسير

أولًا: أثر التناسب في فهم السورتين

حين نقرأ السورتين معًا تظهر لنا معانٍ لا تظهر حين نقرأ كل منهما منفردة. ومن ذلك:

1- الوعد المجمل يتضح: الوعد في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[5] يبقى مجملًا في سورة الضحى، ثم تأتي سورة الشرح فتذكر صورًا من هذا العطاء، مثل شرح الصدر ورفع الذكر[6].

2- التحديث بالنعمة يُفهم بصورة أعمق: الأمر بالتحديث بالنعمة في آخر الضحى لا يقتصر على الكلام، فسورة الشرح تبين أن شكر النعمة الحقيقي يكون بالعمل والعبادة[7].

3- يزول توهم التكرار: قد يظن القارئ أن الحديث عن النعم في السورتين تكرار، لكن التناسب يكشف أن كل سورة تتناول نوعًا مختلفًا من النعم، وأن الثانية تكمل الأولى ولا تعيدها[8].

ثانيًا: الدلالات الإيمانية

يترك التناسب بين السورتين في نفس القارئ يقينًا بأن عناية الله متصلة لا تنقطع. فالسورتان معًا تنظران إلى الماضي (الإيواء والهداية والإغناء)، وإلى الحاضر (نفي الترك، وشرح الصدر، ووضع الوزر)، وإلى

---

[1] سورة الضحى، الآية: 6

[2] سورة الشرح الآية:1

[3] ينظر: السيوطي: تناسق الدرر، ص... (في الكلام على مناسبة سورة النبأ لسورة المرسلات).

[4] ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 394- 399، و 407- 409).

[5] سورة الضحى، من الآية: 5.

[6] ينظر: الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3- 1420ه ، (32/ 210).

[7] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 142).

[8] ينظر: دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، (1/ 142).

المستقبل (العطاء حتى الرضا، واليسر مع العسر). ومن عرف أن الله رعاه في ما مضى، وأنه معه في ما هو فيه، لم يخف مما يأتي[1].

وهذا المعنى وإن جاء في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يمتد إلى كل مؤمن يمر بشدة. فالقاعدة التي تقررها سورة الشرح، أن مع العسر يسرًا، قاعدة عامة لا تختص بشخص معين.

ثالثًا: الدلالات التربوية

تقدّم السورتان معًا منهجًا متكاملًا في التعامل مع النعمة. فالنعمة لا تنتهي بالفرح بها، بل تقتضي عملًا يناسبها. وقد يكون هذا العمل إحسانًا إلى الناس، كما في خاتمة الضحى، أو اجتهادًا في العبادة، كما في خاتمة الشرح.

ومن أوضح ما تعلّمه السورتان أن الطمأنينة ليست غاية في ذاتها. فقوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[2]، يأتي بعد شرح الصدر ووضع الوزر والبشارة باليسر، فيكون المعنى أن الراحة من الهمّ ينبغي أن تتحول إلى طاقة لعمل جديد، لا إلى انقطاع عن العمل. وفي هذا توجيه للمسلم إلى أن يستثمر وقته، وألا يترك فراغًا بين عمل وآخر إلا ملأه بما ينفعه.

الخاتمة

أولاً: النتائج

- النظم القرآني ليس مجرد ترابط لفظي بل هو بناء دقيق قائم بين الألفاظ والمعاني، ومراعاة الاعتبارات النحوية والبلاغية والسياقية.
- سورتا الضحى والشرح تمثلان نموذجًا واضحًا للكشف عن الوحدة الموضوعية للبناء القرآني، ودفع أي توهم للتكرار و التفكك الظاهري بين السور.
- كشفت الدراسة عن ترابط دلالي وسياقي تتابعي محكم في سورة الضحى؛ إذ تنتقل الآيات بتدرج منطقي من القسم والامتنان إلى التسلية والتثبيت، ثم إلى التذكير بنعم الماضي، وانتهت بتكاليف سلوكية واجتماعية أصلية (كإيواء اليتيم وهداية الضال وإغناء العائل)
- أظهر التحليل لسورة الشرح تدرجا بنيويا محكما يبدأ بالاستفهام التقريري لإثبات النعم المعنوية والعامة(كشرح الصدر، وضع الوزر، رفع الذكر)، مروراً بتقرير السنة الكلية المقترنة بالحتمية (اقتران اليسر بالعسر)، وصولاً إلى التوجيه بالاجتهاد في العبادة وإخلاص التوجه لله.
- اتسمت سورة الشرح بإيجاز لفظي وعمق دلالي قائم على المقابلة الضمنية والتكرار المؤكد، مع إيقاع صوتي خفيف يعزز معنى الانشراح ورفع المشقة.
- يسهم التناسب بين السورتين في تعميق الفهم التفسيري وإبراز الإعجاز القرآني.

ثانيا: التوصيات

1- العناية بدراسة التناسب بين السور في الدراسات القرآنية.
2- إدراج هذا النوع من الدراسات في المناهج التعليمية.
3- توسيع البحث في النظم القرآني باستخدام مناهج حديثة.

المصادر والمراجع

1- ابن الزبير الغرناطي: البرهان في تناسب سور القرآن.
2- ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393ه)، التحرير والتنوير، الدار التونسية- تونس، 1984م.
3- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب (ت 542ه) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422.

[1] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 142).
[2] سورة الشرح، الآية: 7.

4- ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت774ه)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ط2، 1999م.
5- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711ه)، لسان العرب، دار صادر- بيروت.
6- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256ه)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.
7- البقاعي، نظم الدرر،.
8- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية – بيروت.
9- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471ه)، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، المدني- القاهرة، ط3، 1992م.
10- الخطابي، حمد بن محمد (ت 388ه) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن" ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف- القاهرة، ط5، 1997م.
11- دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.
12- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3- 1420ه.
13- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت 694ه)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية- القاهرة، ط1، 1957م.
14- الزمخشري، محمود بن عمر(538ه)، الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3.
15- السيوطي: تناسق الدرر، ص... (في الكلام على مناسبة سورة النبأ لسورة المرسلات).
16- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر(ت 911ه)الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، 1974م.
17- الطبري، محمد بن جرير (319ه)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت،ط1، 2000م.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements، opinions، and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas، methods، instructions، or products referred to in the content.